عند رسول الله الاية • قال انس فكنا ننظر الى رجل من اهل الجنة يمشي بين
ايدينا فلما كان يوم اليمامة في حرب مسيلمة راى ثابت من المسلمين بعض
الانكسار فانهزمت طايفة فقاتلوا الى هولاء • ثم قال ثابت لسالم مولى
ابي حذيفة ما كنا نقاتل اعدا الله مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل
هذا ثم ثبتا وقاتلا حتى قتلا واستشهد ثابت وعليه درع فرآه رجل
من الصحابة بعد موته في المنام فقال له اعلم ان فلانا رجل من المسلمين نزع
درعي فذهب بها وهي في ناحية من العرس عند فرس يستن في طوله وقد وضع
على درعي برمة فات خالد بن الوليد واخبره حتى يسترد درعي وات ابا بكر
خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقل له ان علي دينا حتى يقضي وفلان
من رقيقي عتيق فاخبر الرجل خالدا فوجد درعه والفرس على ما وصفه فاسترد
الدرع واخبر خالد ابا بكر بتلك الرويا واجاز ابو بكر وصيته • قال مالك
ابن انس لا اعلم وصية اجيزت بعد موت صاحبها الا هذه قوله
ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض قال ابن الخطيب ان قلنا المراد
من قوله لا ترفعوا اصواتكم انكم لا تجهروا لم يستانف النداء ولما
كان ثم ما لنا للمتقدم لكون احدهما فعلا والاخر قولا استانف كقول لقمان
لابنه يا بني لا تشرك بالله وقوله يا بني اقم الصلوة لكن الاول من عمل القلب
والثاني من عمل الجوارح فان قيل ما الفايدة في قوله ولا تجهروا له بالقول
مع ان الجهر مستفاد من قوله لا ترفعوا اصواتكم فالجواب ان المنع من رفع
الصوت هو ان لا يجعل كلامه او صوته اعلا من كلام النبي عليه الصلوة والسلام
وصوته • والنهي عن الجهر منع من المساواة اي لا تجهروا له بالقول كما تجهر النظراء
بل اجعلوا كلمته عليا قوله ان تحبط مفعول من اجله والمسئلة من التنازع
ولان كلا من قوله لا ترفعوا ولا تجهروا له يطلب من حيث المعنى فيكون معمولا
للثاني عند البصريين في اختيارهم وللاول عند الكوفيين والاول اصح لخلوه
من الاول اي لان تحبط • وقال ابو البقا انها لام الصيرورة وانتم لا تشعرون
حال فصل معنى الكلام انكم ان رفعتم اصواتكم وتقدمتم فذلك
يودي الى الاستحقار والارتداد محبط • وقوله وانتم لا تشعرون اشارة الى ان
الردة تتمكن من الانسان بحيث لا يشعر الانسان فان من ارتكب ذنبا
لم يرتكبه في عمره تراه نادما غاية الندامة خايفا عليه الخوف فاذا ارتكبه
مرارا قل خوفه وندامته ويصير عادة من حيث لا يعلم متى تمكن هذا
اكان في المرة الاولى او الثانية او الثالثة وغيرها وهذا كما اذا بلغه خبر
فانه لا يقطع بالمخبر فاذا تكرر ذلك وبلغ الى حد التواتر حصل له اليقين
وتمكن الاعتقاد ولا يدرك متى كان ذلك وفي اي لحظة حصل هذا اليقين
فقوله وانتم لا تشعرون تاكيد للمنع اي لا تقولوا بان المرة الواحدة
تعفى ولا توجب ردة لان الامر غير معلوم بل احسموا الباب قوله
ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله اي اجلالا له • اولئك
الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى اختبرها واخلصها كما يمتحن الذهب
بالنار فيخرج خالصه فصل اولئك يجوز ان يكون اولئك مبتدا
والذين خبره ويكون لهم مغفرة جملة اخرى اما مستانفة وهو الظاهر
واما حالية • ويجوز ان يكون الذين امتحن صفة لاولئك [illegible]
بيانا • ولهم مغفرة جملة خبرية • ويجوز ان يكون [illegible]
فاعل به واللام في قوله للتقوى يجوز ان تتعلق بمحذوف تقديره عرف الله
قلوبهم صالحة اي كاينة للتقوى كقولك انت لكذا اي صالح او كاين • ويحتمل
ان يكون للتعليل وهو يحتمل وجهين • احدهما ان يكون تعليلا يجري مجرى بيان

السبب

السبب المتقدم كقولك جيتك لاكرامك اي بسبب اكرامك لي صار ذلك السبب
السابق سبب المجي • والثاني ان يكون ذلك تعليلا يجري مجرى بيان غاية
المقصود المتوقع الذي يكون لاحقا لا سابقا كقولك جيتك لاداء الواجب
اي ليصير مجيي سببا لاداء الواجب • فعلى الاول فمعناه ان الله علم ما في قلوبهم
بقوله فامتحن قلوبهم للتقوى التي كانت فيها ولولا ان قلوبهم كانت مملوة من
التقوى • لما امرهم بتعظيم رسوله وتقديم نبيه على انفسهم وعلى الثاني
فمعناه ان الله تعالى امتحن قلوبهم بمعرفته ومعرفة رسوله بالتقوى اي ليرزقهم
الله التقوى • ثم قال لهم مغفرة واجر عظيم وقد تقدم الكلام على ذلك
قوله تعالى ان الذين ينادونك من ورا الحجرات هذا بيان لحال من كان
من كان في احدهما النداء فان نداء الرجل الكبير قبيح بل الادب الحضور بين
يديه وعرض الحاجة عليه • الثاني النداء من ورا الحجرات فان من ينادي غيره
ولا حايل بينهما لا يكلفه المشي والمجي بل يجيبه من مكانه ويكلمه ومن ينادي
غيره مع الحايل يريد منه حضوره • الثالث قوله الحجرات يدل على كون
النبي عليه الصلوة والسلام في خلوته التي لا يحسن اتيان المحتاج اليه في حاجته
ذلك الوقت بل الاحسن التاخير وان كان في ورطة الحاجة قوله
من ورا من لابتدا الغاية وفي كلام الزمخشري ما يمنع ان يكون من لابتدا
الغاية ما يمنع من ان يكون لابتدا الغاية وانما بها قال لان الشي الواحد
لا يكون مبدا للفعل ومنتهى له وهذا اثبته بعض الناس وزعموا انها تدل
على ابتدا الفعل وانتهايه في جهة واحدة نحو اخذت الدرهم من الكيس
والعامة على الحجرات بضمتين • وابو جعفر وشيبة بفتحها وابن ابي عبلة
باسكانها وهي ثلاث لغات تقدم تحقيقها في البقرة في قوله في ظلمات
والحجرة فعلة بمعنى مفعولة كغرفة بمعنى مغروفة • قال البغوي الحجرات
جمع الحجر • والحجر جمع الحجرة فهي جمع الجمع فصل ذكروا في سبب النزول
وجوها • احدها قال ابن عباس بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
سرية الى بني العنبر وامر عليهم عيينة بن حصين الفزاري فلما علموا هربوا
وتركوا عيالهم فسباهم عيينة وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاه
بعد ذلك رجالهم يفدون الذراري فقدموا وقت الظهيرة ووافقوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم قايلا في اهله فلما راتهم الذراري جهشوا الى ابايهم
يبكون وكان لكل امراة من نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم حجرة
فعجلوا ان يخرج اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعلوا ينادون
يا محمد اخرج الينا حتى ايقظوه من نومه فخرج اليهم فقالوا يا محمد فادنا
عيالنا فنزل جبريل فقال ان الله يامرك ان تجعل بينك وبينهم رجلا
فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اترضون ان يكون بيني وبينكم
سبرة بن عمرو وهو على دينكم فقالوا نعم قال سبرة انا لا احكم وعمي شاهد
وهو الاعور بن بشامة فرضوا به فقال الاعور ارى تفادي نصفهم
فانزل الله ان الذين ينادونك من ورا الحجرات اكثرهم لا يعقلون • وصفهم
بالجهل وقلة العقل قوله ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا
لهم لانك كنت تعتقهم جميعا وتطلقهم بلا فدا والله غفور رحيم
وقال قتادة نزلت في ناس من اعراب بني تميم جاوا الى النبي صلى الله
عليه وسلم فنادوا على الباب اخرج الينا يا محمد فان مدحنا زين
وذمنا شين فخرج النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول انما ذلكم الله
الذي مدحه زين وذمه شين فقالوا نحن ناس من بني تميم جينا بشاعرنا
وخطيبنا لنشاعرك ونفاخرك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم •

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)